احدى الكبر * وكبرى العبر

خلع عبد الحميد خان · نفيه من دار السعادة · وضعه تحت المراقبة العسكرية · ضبط امواله وذخائره وعقاره · اباحة يلدز للامة · تولية مولانا السلطان محمد الخامس

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَالِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ، وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ، وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ ، وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ، بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *

(سورة آل عمران ٣ : ٢٦)

جلت قدرة الله ونفذت مشيئته ، وغلب قدره وعلت كلمته ، جعل الايام دولا ، وجعل للدول نواميس وسننا ، فلا مبدل لسنته ، ولا محوّل لنواميس خلقه، فلا يغرنك إملاؤه للظالمين ، واستدراجه المفسدين ، «١٤ : ٤٢ إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ٤٣ مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ، وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب

لا ينفع من قدره حذر ، ولا ينفذ من محيط سننه سلطان البشر ، فلا يهولنك ما ترى من رسوخ الاستبداد ، ولا يؤيسنك ما تشاهد من غلبة الاستعباد ، ولا يفزعنك ما ترى من الحصون والاجناد ، فقد مضت سنة الله بأن الشيء إذا جاوز حده ، جاوز ضده ، وان شدة الضغط توجب شدة الانفجار ، وان الاعمال بالخواتيم ،

١٢٨:٧ والعاقبة للمتقين » ، « ١٣ : ٢٥ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ألا وإن مشيئة الله في إيتاء الملك ونزعه ، وخفض الملك ورفعه ، واعتزاز السلطان وإذلاله ، ليست مشيئة استبدادية ، مغيرة لسننه الاجتماعية ، وإنما جعل لكل شيء سبباً ، ولكل أمر مقادير وسنناً ، فما من أمة تفرقت كلمتها ، وغلب عليها الجهل بحقوقها ، واعتقاد وجوب التقديس لأمرائها وملوكها ، وكثر فيها المنافقون ، وقلّ فيها الصادقون ، الا وابتليت بالمستبدين ، ومنيت بالظالمين ، يسومونها سوء العذاب ، ويقطعون بها الأسباب ، فيأكلون الاموال ، ويستذلون الرجال ، ويجعلون الحرائر إماء ، ليتمتعوا بالملكات من النساء ، ويعيثون بالشريعة والقانون ، ويجنون على الأخلاق والآداب ، فيذلون أمتهم ، ويضعفون دولتهم ، فاذا استيقظت الامة من سباتها ، واجتمعت بعد شتاتها ، وعرفت حقوقها ، وغيرت ما بأنفسها من تقديس السلاطين ، وأرادت ان تجعل الحكم فيها للشريعة والقوانين ، فان الله يغير ما بها من الذل والعبودية ، فتستبدل بها العز والحرية ، من حيث يذل ظالميها ، ويهلك مذليها » « ١٣ : ١١ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

لقد صدقنا الله وعده ووعيده ، وأرانا بأعيننا مصداق كتابه ، فهذا عبد الحميد خان وأعوانه ، وقوناؤه وخصيانه ، وجواريه وغلمانه ، قد بغوا في الارض ، وتركوا السنة والفرض ، وعطلوا الشريعة والقوانين ، واستبدوا بجميع العثمانيين ، وجمعوا القناطير المقنطرة من الأموال ، وحشدوا لحمايتهم الالوف المؤلفة من الرجال ، وأقاموا حولهم المعاقل والحصون ، ليمنعوا أنفسهم ان يصول عليها المظلومون » « ٥٩ : ٢ وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار

نعم ان في ذلك لكبرى العبر ، لمن يعقل ويتدبر ، « ٧٤ : ٣٢ كلا والقمر ٣٣ والليل إذ أدبر ٣٤ والصبح إذا أسفر ٣٥ إنها لإحدى الكبر ٣٦ نذيراً للبشر ٣٧ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر » فقد أدبر ليل الظلم والاستبداد ،

وأسفر صبح الدستور فميز بين الإصلاح والإفساد، وذهب الغي وجاء «الرشاد»، وكانت هذه الحركة العثمانية إحدى الكبر، نذيراً للمستبدين من البشر، تعلمهم انه لا ينفع حذر من قدر، كما تعلم من شاء أن يتقدم أو يتأخر من الامم، كيف يكون السير في الطريق الأمم، وانما مدار التقدم والتأخر على العدل والاستبداد، ورسوخ جذور احدى الكلمتين في البلاد، «١٤ : ٢٤ ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توتي اُكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ٢٥ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ٢٦ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء»

لقد ذهبت هذه العبرة بأعذار اليائسين من رَوْح الله، وتعللات القانطين من رحمة الله، الذين يتركون العمل، ويتفيئون ظلال الكسل، إذا غلقت في وجوههم الابواب، وتقطعت بهم الأسباب، جهلا بعناية الله بالإنسان، وسننه في نظام الأكوان، فها نحن أولاء قد رأينا عبد الحميد خان قد غلق جميع الأبواب التي يتصور التوصل منها الى خلعه، وقطع جميع الاسباب التي يتخيل انها تفضي الى أخذه، حتى أنه منع الاجتماع والجمعيات، وحجر حتى على كثير من الألفاظ والاصطلاحات، فأبطل من المحاكم الشرعية لفظ الحجر والجنون، وان يحكم بالحجر على مجنون، ومنع لفظ المخالعة والخلع(١) منها وما يطبع من كتب الشرع لأنه يذكر بلفظ الخلع (بالفتح) كما أبطل من جميع المطبوعات، امثال هذه الكلمات، عبد الحميد. سلطان (الاعند ذكره) مراد. رشاد. ثورة. حرية. جمعية، مبعوثان الخ وكان لمراقبي الجرائد في ذلك من الأمر والنهي، والاثبات والمحو، ما يضحك الثكلى، ويبكي اليائس الذي جاءته البشرى، وأمر بحذف دعاء القنوت من كتب التعليم، وكلمة خلع النعلين مما يطبع من

(١) الخلع بالضم الطلاق بعوض. وقد رفع الى محكمة التمييز إعلام بحكم شرعي في مخالعة فردته الى المحكمة الابتدائية لاجل تصحيحه بحذف كلمة خلع منه. وقد نبهت على ذلك بالارقام كقولها (مثلا) يجب تغيير الكلمة الرابعة من السطر الثاني والعاشرة من السطر الثالث وهلم جرا

كتب الفقه والحديث ، لئلا يخطر خلفه في البال ، عند ذكر خلع النعال ، او يسبق الى فهم المتعلمين او المصلين ، ان كلمة « وخلع من يفجرك » في القنوت توجب خلع الفجار من السلاطين ، هكذا رأياه قد اتقى كل شيء الا الله ، « ٢٨ : ٨١ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله » ٢ : ٢٧٠ و ٣ : ١٩٢ وما للظالمين من أنصار .

عز عليه ان يسلب بالدستور والحرية ، ما كان يتحلى به من صفات الربوبية ، ككونه يحكم مايشاء ويفعل ما يريد ، لا راد لأمره ، ولا معقب لحكمه ، ولا حدود لأمره ونهيه ، يحمد على السراء والضراء ، « ٢١ : ٢٣ لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون » يعطي ويمنع ، ويضر وينفع ، ويصل ويقطع ، ويفرق ويجمع ، ويخفض ويرفع ، يسلب من يشاء ما شاء ، ويقتل من أراد متى أراد ، ويعد من يكره ، ويقرب من يحب ، فرأى بعد الدستور أن أمر الشريعة والدستور فوق أمره ، وان نفوذ جمعية الاتحاد والترقي فوق نفوذه ، وان الالسنة والاقلام التي كانت مكرهة على ترتيل آيات إطرائه ترتيلا ، والتسبيح بحمده بكرة وأصيلا ، صارت تسمي أعماله ووقائع عصره باسمائها ، بعد ان كانت تطلق عليها أسماء اضدادها ، اذ كانت تسمي الظلم عدلاً ، والنقص فضلاً ، والجهل علماً ، والسفاهة حلماً ، والباطل حقا ، والكذب صدقا ، والإفساد إصلاحاً ، والخسر فلاحا ، والتخريب عمرانا ، والاساءة إحسانا ، الى غير ذلك . راعه ان يكون بشرا يوصف بصفات البشر ، وان تكون رعيته من جنسه لا من الغنم والبقر ، فضاق بهذا الدستور صدرا ، وعجز عن مبارزته جهراً ، فلجأ الى الكيد والاحتيال ، وفتح ما ادخره لمثل هذا اليوم من كنوز الاموال ، فألف بها الجمعية المحمدية ، وبث دعاتها في العاصمة وجميع الولايات العثمانية ، فطفقوا يوسوسون لعامة المسلمين ، إن الدستور منافٍ للدين ، وان جمعية الاتحاد تريد بث التعطيل والإلحاد ، وتحويل الحكومة الاسلامية ، الى حكومة أوربية ، بل بثوا فتنتهم في الجيش فشقوه نصفين ، ودبروا مكيدة لإيقاع المذابح بين العنصرين ، (المسلمين والنصارى) « ١٤ : ٤٦ وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » أما لو وقعت الواقعة ، وقرعت الدولة هذه القارعة ، لرُجّت الأرض رجا ،

وبسّت البلاد بسا ، (١) فكانت هباء منبثا ، (٢) ولكن لطف الله بهذه الأمة ، وأراد انقاذ هذه الدولة ، فانهتك الستر ، وانكشف السر ، وظهرت بوارد الثورة على الدستور في القسطنطينية ، قبل أن تصل دعاتها الى جميع الولايات العثمانية ، فقتل الثائرون بعض أعضاء مجلس النواب ، ودمروا على نادي جمعية الاتحاد ، فتبروا ماعلوا تتبيرا ، وكادوا يدمرون المعاهد تدميرا ، فأرز (٣) أهل التدبير الى سلانيك وهي مصدر الدستور ، ومطلع هذا النور ، واستصرخوا ذلك الجيش المنصور ، فلبّاهم سليل الفاروق ، مبادرا الى فتح فروق ، والقضاء الاخير على الاستبداد ، واصطلام آخر جرثومة له في البلاد ، والتنكيل بما له من الاحزاب والأنصار ، (١٣ : ١٠ سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) (٤)

عبأ (محمود) الأمة ، و (شوكة) الملة ، تلك الكتائب الشهباء ، وهي كالقضاء المنزل من السماء ، فكان هو منها كما قال شوقي من قبل في مدح جيش عبد الحميد تبعا لمدحه

يقود سراياها ويحمي لواءها ... سديد المرامي في الحروب مجرب
يجيء بها حينا ويرجع مرة ... كما تدفع اللجّ البحار وتجذب
ويرمي بها كالبحر من كل جانب ... فكل خميس لجة تتضرب
وينفذها من كل شعب فتلتقي ... كما يتلاقى العارض المتشعب
ويجعل ميقاتا لها تنبري له ... كدارة يلقى عقرب السير عقرب
فظلت عيون الحرب حيرى لما ترى ... نواظر ما تأتي الليوث وتغرب
تبالغ بالرامي وتزهو بما رمى ... وتعجب بالقواد والجند أعجب

(١) أي خربت فكانت أجزاء متفتتة ، أو سيق أهلها كما تساق الغنم (٢) الهباء الغبار والمنبث المنتشر المتفرق (٣) اي اجتمعوا وانضم بعضهم الى بعض كذا فسر الاصمعي الكلمة في الحديث . وفي اللسان أرز (كجلس) تقبض وتجمع وثبت ، ويقال ارز الى المكان اذا كان مأمنه ومنعته (٤) اي ويقال لهم سواء منكم أيها الخارجون على الدستور من اسرّ القول الجنود وغيرهم بالحث على الفتنة ومن جهر به الخ ، والسارب الظاهر البارز كاولئك الجنود العصاة

أو كما قال اليوم يخاطب هذا الجيش مفتخراً بعمله في أخذ عبد الحميد وخلعه

يا أيها الجيش الذي   لا بالدعيّ ولا الفخور
يحمي فؤاد ديم الحمى   لفت البرية بالظهور
كالليث يسرف في القتا   ل وليس يسرف في الزئير
الخاطب العلياء بالـ   أرواح غالية المهور
عند المهيمن ما جرى   في الحق من دمك الطهور
يتلو الزمان صحيفة   غراء مذهبة السطور
في مدح «أنورك» الجري   «وفي» «نيازيك» الجسور
«يا شوكت» الاسلام بل   يا فاتح البلد العسير
وابن الأكارم من بني   «عمر» الكريم على «البشير»
القابضين على الصليـ   ل كجدهم وعلى الصرير
هل كان جدك في ردا   ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صياد الأسو   د وصدت قناص النسور
وأخذت «يلدز» عنوة   وملكت عنقاء الثغور

ثم كرّ الفاروق بجيشه وعيون الأمم الأجنبية شاخصة اليه ، وقلوب الشعوب العثمانية محوّمة عليه ، وزحف على الآستانة ، مصوبا مدفعه متشقا حسامه ، فلقيته جنود عبد الحميد ، وكانت الحرب كالسيل يقذف جلمودا بجلمود ، فطل الأخ دم أخيه ، وخرق القريب صدر قريبه ، فكانت جنودنا كما قال البحتري

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها   تذكرت القربى ففاضت دموعها

ولكن شتان ما بين الباعثين ، وما أبعد ما بين الداعيين ، ففريق ينصر الملة بنصر الشورى والدستور ، ويحمي الأمة بحماية مجلس المبعوثين ، وفريق ينصر الاستبداد بنصر ذلك الشبح البالي ، والمسرف المالي ، والخوّن الغالي ، (٣ : ١٣ والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)

أيد الله الحق على الباطل ، ومكن جند الدستور من تلك الحصون والمعاقل ،

حتى كأن قائده يحمل سيف جده عمر ، الذي كتب الله له النصر والظفر ، فكان هو الفاروق الفاصل ، بين العدل والظلم والحق والباطل ، وقد أعجب أهل الحرب في أوربا بسرعة حركته ، وحسن تمثله ، كما اعجب أهل السياسة بإحكامه للنظام ، وحفظه للأمن ، وفرح العثمانيون بنصر الله الدستور على الاستبداد ، وحكم الشورى على حكم الأفراد ، « ٤٠ : ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار »

سقطت « يلدز » ذات الحصون المشيدة ، والملاجئ المتعددة ، بعد ان حاصرها جيش الدستور ، وقطع عنها الزاد والماء والنور ، وفيها اربعة آلاف من النساء والغلمان ، والخصيان والأعوان ، والحرس الداخلي والحجاب ، والخدم والكتاب ، والسواس والحوذية ، والأرمن والبستانية ، كانوا يأكلون كل يوم ما تشتهيه الانفس من اصناف الألوان ، ويتمتعون بما احبوا من بنات الحان ومعتقات الدنان ، وقد استمد عبد الحميد فيها لكل شيء الا الحصار فانه لم يكن في الحسبان ، وسبحان من لا يشغله شان عن شان ، أراد ان يجعلها كجنة الخلد ، فاذا هي في يوم الحصار دون جنة آدم في الأرض ، فقد قال الله لآدم (٢٠ : ١١٨ ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى ١١٩ وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) وقد جاع وظمئ في جنة عبد الحميد حتى القادات ، وصار من فيها كالسوائم يقتاتون بورق النبات ، ثم ذاقت يلدز طعم الجوع ، بعد ان كانت مئات الموائد توزع من فضلاتها على الجموع ، وتجمع الألوف من الجنود وغير الجنود ، وذاقت لباس الخوف والرعب ، بعد ان كانت تخيف جميع الشعب ، فصارت عبرة للمعتبرين . ومثلا للآخرين . « ١٦ : ١١٢ ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون »

ولما ضيق عليها الحصار ارتفع الصراخ والعويل ، ممن قال فيهن شاعر النيل

أين الاوانس في ذراها من ملائكة وحور
المترعات من النعيم الراويات من السرور
العاثرات من الدلال الناهضات من الفتور

الآمرات على الولاة الناهيات على « الصدور »
الناعمات الطيبات المرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزمان بنشوة العيش النضير
المشرقات وما انتقلن على الممالك والبحور
من كل « بلقيس » على كرسي عزتها الوثير
أمضى نفوذاً من « زبيدة » في الامارة والامير
بين الرفارف والمتا رف والزخارف والحرير
في مسكن فوق السماك وفوق غارات المغير
بين المعاقل والقنا والخيل والجيش الغفير
سموه « يلدز » والافو ل نهاية « النجم » المنير
دارت عليهن الدوائر في المخادع والخدور
أمسين في رق القبيل وبتن في أسر العشير
ما يقتهين من الصلا ة ضراعة ومن النذور
يطلبن نصرة ربهن وربهن بلا نصير

ولماذا صار ربهن عبدالحميد بلا نصير ، ولا ولي ولا ظهير ، الجواب من سورة الشورى التي كان يقتها (٤٢ : ٨ والظالمون مالهم من وليّ ولا نصير) ومنها (٣٠) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣١) وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير)

بعد أن ضيق جيش الدستور على يلدز الحصار ، خيرها بين التسليم وبين السيف والنار ، فعلم ذلك العاهل ، انه جاء الحق وزهق الباطل ، فأمر بالتسليم مدعياً إيثار السلام ، على الحرب والصدام ، وأن العسكر المهاجم كالحرس من أولاده ، لا فرق بين الداعم والهادم لاستبداده ، فسلم من كان فيها من الجيش سلاحه وذخائره مأسوراً ، ثم خرج منها مذموماً مدحوراً ، وخرج وراءه رؤساء الموظفين والكتاب والقراء ، فالخصيان والخدم فالنساء ، فكان عسكر الدستور يخرج كل فريق فيعرف غير النساء منهم فرداً فرداً ، ويحصيهم بالمقابلة على الجداول التي بيده عدداً ، ثم يرسلهم محفوظين

إلى المواضع التي أعدها لهم ، إلى ان يصدر الحكم العمري الفاروقي فيهم، بل ذلك حكم الله وسننه في نظام الاجتماع ، « ٤٠ : ١٨ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » ، وصدق عليهم بعد اباحة يلدز للأمة ، ما نزل في فرعون وقومه « ٤٤ : ٢٥ كم تركوا من جنات وعيون ٢٦ وزروع ومقام كريم ٢٧ ونعمة كانوا فيها فاكهين ٢٨ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين »

وقد وضع الفاروقي فروق تحت الاحكام العرفية، وشكل فيها المحاكم العسكرية، لمحاكمة منفذي الفتنة الحميدية، لا إبطال حكومة الشورى الشرعية ، وإعادة الاحكام الشخصية الوثنية ، وهذا أمر لا بد منه ، ولا تقوم المصلحة العامة الا به ، والقتل بهذه الاحكام العسكرية ، هو من قبيل ما يطلق عليه الفقهاء اسم الاحكام السياسية . وقد صرحوا بأنه يجوز قتل الثلث لإصلاح الثلثين ، فان قيل انها أحكام ربما تصيب بعض البرآء ، قلنا وقد يقع مثل ذلك في أحكام القضاء ، « ٨ : ٢٥ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب »

وقد كان من امر الولايات العثمانية ، عند ما علمت بكيد عبد الحميد خان للحكومة الدستورية ، ان كتبت الى مجلس الأمة بوجوب خلعه ، ونقض اليد من بيعته ، وإعلامه بأن الجنود مستعدة لمحاربته ، والاهالي يتطوعون مع الجيش لمساعدته ، فلما أمن المجلس بأس ذلك السلطان ، اجتمع المبعوثون والاعيان ، واستفتوا شيخ الاسلام ، في خلع عبد الحميد وتولية رشاد ، وهذه ترجمة الاستفتاء والفتوى بالعربية :

« اذا حذف زيد امير المؤمنين بعض المسائل الشرعية المهمة من كتب الشرع المقدسة ، ومنع وعرق وأحرق الكتب المذكورة ، وبذر واسرف في بيت المال بدون مسوغ شرعي ، وقتل وسجن ونفى رعاياه بدون سبب شرعي ، وتعود ارتكاب غير ذلك من المظالم الاخرى ، ثم بعد ان أقسم بأن يرجع الى الصلاح حنث بيمينه وأصر على إحداث فتن عظيمة تخل تمام الإخلال بانتظام أمور المسلمين واحوالهم ، وحرض على المذابح ، واذا كانت الأخبار تتوالى من جميع أنحاء البلاد الاسلامية طالبة خلعه تخلصا من ذلك الجور ، وكان في بقائه ضرر محقق ، وفي زواله صلاح ملحوظ ، فهل يجب تنفيذ ما يرجحه أرباب الحل والعقد وأولو

الأمر من إلزامه التنازل عن السلطنة والخلافة أو خلعه ؟

(الجواب) نعم . كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين

عفي عنه

بعد تناول هذه الفتوى من شيخ الاسلام التي هي أصح فتوى صدرت في هذه الأزمان ، لرد الشأن فيها إلى أولي الأمر كما أمر القرآن ، اختار أولو الأمر من المبعوثين والاعيان ، ان يخلعوا السلطان عبد الحميد الثاني ، لأنه ثبت لديهم أنه يصدق عليه ما ذكر في الاستفتاء من المظالم والمخازي ، وأن يبايعوا بالخلافة والسلطنة ، محمد رشاد افندي ولي عهد المملكة ، وهذه ترجمة قرار المجلس بالعربية

« في الساعة السادسة ونصف من يوم الثلاثاء وهو السابع من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ (مالية) تقرر في جلسة المجلس الوطني العثماني المؤلف من مجلسي الأعيان والمبعوثين خلع السلطان عبد الحميد الثاني وإسناد السلطنة والخلافة الى ولي العهد محمد رشاد افندي باسم (محمد الخامس) وذلك بناء على اختيار الخلع على التنازل الاختياري بالاقتراع وهما الحلان المبينان في الفتوى المذيلة بتوقيع شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي المتلوة في الجلسة »

ثم ان المجلس ارسل وفدين ، ليبلغ قراره للسلطانين ، ليعلما ان الأمر لأولي الأمر ، لا لرجل واحد يسمى ولي الامر ، لأن الله تعالى اسند في كتابه الى الجمع ، ولم يسنده قط الى الفرد ، وليكون الأول عبرة للمستبدين الظالمين ، والآخر سلفا ومثلا للدستوريين الآخرين ، فبلغ الوفدان القرارين ولسان الحال يرتل قول الملك المتعال ، وقل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

دخلوا على عبد الحميد الجبار ، الحقود المنتقم القهار ، وهو في مأمنه الذي ملأه بالمسدسات ، وجعل فيه الملاجيء والمغارات والمدخلات ، وفي كل حجرة منه تمثال ، يمثله في حال من الاحوال ، فمنها النائم على السرر المرفوعة ، ومنها المتكيء على الأرائك الموضوعة ، ومنها المكب على كتابته ، ومنها الممثل لقراءته ، يحتاط بذلك لحياته الجنود والأحراس ، وغفلة الرقباء والأرصاد ، حتى اذا ما دهم عليه محتال ، يحاول

الفتك والاغتيال ، واتفق ان اهتدى الى بعض حجراته ، التي يأرز اليها في خلواته ، يفره التمثال فيهجم عليه ، فينفذ رصاص المسدسات الحميدية من بين كتفيه ، وان عبد الحميد لا يخطىء المرمى ، فقد تمرن على الرمي حتى صار كبني ثعل أو أرمى ، — دخلوا عليه فما وارته مخبآته ، ولا حمته مسدساته ، ولا دافعت عنه رجاله ، ولا أغنت عنه أمواله ، بل غلب على هذا المخلوع الجبن الخالع ، فاذا هو خاضع خانع ، قد خرس لسان مقاله ، وقرأ لسان حاله « ٦٩ : ٢٧ ياليتها كانت القاضية ، ٢٨ ما أغنى عني ماليه ٢٩ هلك عني سلطانيه » يتمنى لو كانت مكيدته قضت على الدستور ، وجعلت زعماءه وأنصاره من سكان القبور ، ثم طلب أن يبقوا عليه كما أبقى على أخيه مراد ، ويحشروا إليه لأنه بريء مما وقع من الفساد !! ، وطفق يلوك اباطيل الاعذار ، ولو كان صادقا لما انتهى الى هذا « القرار » ، « ٣٨ : ٢٨ ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ام نجعل المتقين كالفجار ؟

لماذا خضع وذل عبد الحميد ، وهو الجبار العنيد ، لذلك الوفد ، الذي لم يكن معه غير ثلاثة من ضباط الجند ، أتواضعا كتواضع الخلفاء ، ام هي شنشنة الجبناء ، ان قدروا بغوا وعتوا ، وان عجزوا ذلوا وعنوا ؟ اذا هو السلطان المستبد ، القاسي المتكبر ، الحريص على حياته ، المحافظ بقوة الدولة ومالها على شخصه ، هو بعينه عبد الحميد ، الذي دخل عليه وفد مجلس الأمة من غير معارضة ولا تفتيش ، فوقف أمامهم خاضعا ضارعا ، متوسلا خاشعا ، يسألهم الإبقاء عليه ، وترك روحه العزيزة بين جنبيه ؟؟ سبحانك اللهم ما أجل حكمتك ، وما أعدل سنتك ، ما أصدق وعدك ووعيدك ، فقد بينت لنا أن العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وقلت « ٤٠ : ٢٠ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وماكان لهم من الله من واق »

أين تلك القوة القاهرة ، أين تلك الارادة النافذة ، أين تلك العظمة والكبرياء ، أين ذلك الشمم والإباء ، أين ذلك المسرف المال ، أين ذلك المعجب المختال ، أين السلطان عبد الحميد ، الذي ظن انه بقي فعالا لما يريد ، فلم يكن يقبل ان يوجد في المملكة من يقول هذا نافع في السياسة وهذا ضار ، وهذا حلال في تصرف

الادارة وهـذا حرام ، أين السلطان عبد الحميد الذي جعل نفسه هو الملك وهو الأمة ، هو القانون وهو الشريعة ، الذي كان يرى ان الملك ملكه ، والزمان غلامه ، والناس عبيده أو عباده ، وان له الحق ان يحرف كتب دينهم ، وان يغير أسفار تاريخهم وتاريخ غيرهم ، وان عليهم ان يقابلوا إساءته بالشكر ، وظلمه بالرضاء والحمد ، أين السلطان عبد الحميد الذي كان لا ينزل إلى موكب صلاة الجمعة في الأسبوع ، إلا بين صفوف من الجيوش كالبنيان المرصوص ، فيحرم الصلاة على الألوف من المسلمين لأجل صلاته ، التي يجعلها عنواناً على خلافته ، فيتزلف اليه فيها بآيات معينة من القرآن ، لا يتجرأ أن يتلو غيرها قارئ ولا خطيب ولا إمام ، ولو قرأ قارئ على مسمعه آية من الآيات التي تنذر الظالمين الهلاك والدمار ، وتوعدهم بالزوال والبوار ، لأخذ منه باليمين ، ولقطع منه الوتين ، أو زجه في ظلمات السجن ، أو نفاه من الأرض ، أين عبد الحميد الذي كان يزور الخرقة النبوية الشريفة ، تذكيرا للمسلمين بأنه هو الخليفة ، فتحرس له الجنود طريقه اليها طول السنة ، فاذا قرب الموعد أخليت من جانبيها الفنادق والدكاكين والأمكنة ، وغلقت الأبواب والنوافذ والكوى ، وحشرت الجنود تملأ ما بين الرجا إلى الرجا ، لئلا يطمع أحد بالدنو اليه أو يكون في مكان أعلى منه ، ٢٢ : ١١١ : ٢ « ما أغنى عنه ماله وما كسب » ، ولا وقاه ما أكدى وما وهب ، ولا نفعه رأي ثقاته ، ولا سلاح حماته ، بل سلطت فتنه الباغية المغرورة ، لفئة الدستور المنصورة ، وذم هو عمل منفذي فتنته وتبرأ منهم ، وزعم انه كره عملهم ولكن عجز عنهم ، « ٨ : ٤٨ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب »

بعد اسبوعين من خلع عبد الحميد ، أنفذ الفاروق حكم أولي الأمر بنفيه الى سلانيك ، واخرج معه من دار السعادة اثنان من صغار اولاده ، واحدى عشرة امرأة من جواريه ونسائه ، وجيء به الى محطة سكة الحديد تخفر مركبته مركبات الجنود . واوصل كذلك مخفورا في قطار مخصوص ، ولما وصل الى محطة سلانيك اختار ركوب احدى مركبات الاجرة ، الى ان وصل الى الدار التي أعدت له ، وهي دار

الآتي باشا قائد الشرطة ، وقد احضر له ولمن معه طعام ذلك المساء من إحد مطاعم السوق ، وطلب نبيعا فاشتريت له أيضا من السوق ، وكان في عامة أوقاته كاشف البال ، كثير المؤانسة والافكار ، وقد تضرع الى القائد الذي استقبله ، بأن يضمن له حياته ، فهدأ القائد اضطرابه ، وسكن روعه ، ولو كان عبد الحميد صاحب عزة وإباء ، لما حرص في مثل هذه الحال على البقاء ، ولا اقبل لفعل ما فعلت الزباء ، على ان البغي والانتحار اذا كان محرما في الاسلام ، فشدة الحرص على الحياة ليست من شأن أهل الإيمان ، فقد قال تعالى في في الذين لا يؤمنون (٢ : ٩٦ ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون)

اما مولانا السلطان محمد الخامس فقد بويع في ذلك اليوم بنظارة الحربية ، باختيار اولي الأمر ونواب جميع الأمة العثمانية ، فان كان قد قال في حفلة المبايعة انني أول ملك في عهد الدستور والحرية ، فاننا نقول ان مبايعته أول مبايعة جرت على الصورة الشرعية ، فقد كان سلفه يأخذون الملك بمجرد الإرث ، وهو قد ناله باختيار أهل الحل والعقد ، وقد بويع بالمصافحة كما بويع الخلفاء الراشدون ، لا بلثم الراحة وتقبيل الاذيال كما جرى عليه اسلافه المستبدون . وأول من بايعه الشريف حيدر بك من أعضاء مجلس الاعيان ، ثم الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، ثم نقيب الاشراف فرئيسا مجلسي الاعيان والنواب ، فأعضاء المجلسين فالامراء والضباط ، ثم من حضر من خيار الناس ، وقد صرح مولانا عقب مبايعته ، بأن كل رغبته ورجائه في سعادة امته ، وبعد عدة أيام حلف في نظارة الحربية ، يمين التزام الشريعة والدستور والمحافظة على حقوق جميع الأمة العثمانية ، ثم حلف أيضا في مجلس نواب الأمة ، كما استحلفهم على الاخلاص لما وله ، فأقسموا طائعين ، وأطاعوا مختارين ، ودعوا له مخلصين ، والأمة من ورائهم تقول آمين ، والعاقبة للمتقين ، « ١٣ : ٢٩ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب » .

ونسأله تعالى ان يجعل لسائر حال سلطاننا الأواب ، هذه الآية الكريمة من الكتاب « ٤٠ : ٣٨ وقال الذي آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد » .